

أضواء البيان

@ 48 مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْبَنِينَ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ { فبدأ بالوالدين براً لهما ، وثنى بالأقربين . .

وقال صلى الله عليه وسلم : (الصدقة على القريب صدقة وصلة ، وعلى البعيد صدقة) ثم اليتامى وهذا واجب إنساني وتكافل اجتماعي ، لأن يتيم اليوم منفق الغد ، وولد الأبوين اليوم قد يكون يتيماً غداً ، أي أن من أحسن إلى اليتيم اليوم قد يترك أيتاماً ، فيحسن عليهم ذلك اليتيم الذي أحسنت إليه بالأمس ، والمساكين وابن السبيل أمور عامة . .

وجاء بالقاعدة العامة التي يحاسب الله تعالى عليها ويجازي صاحبها { وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ } أي مطلقاً { فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } ، وكفى في ذلك علمه تعالى .

أما موقف المنفق وصورة الإنفاق : فإن هذا هو سر النفقة في الإسلام ، وفلسفة الإنفاق كلها تظهر في هذا الجانب ، مما تميز به الإسلام دون غيره من جميع الأديان أو النظم . .

لأنه يركز على الحفاظ على شعور وإحساس المسكين ، بحيث لا يشعره بجرح المسكنة ، ولا ذلة الفاقة كما في قوله تعالى : { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَذَكَّرُونَ مَا آذَنُوا أَنْ يُنْفِقُوا مَذَّاءً وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } . .

ثم فاضل بين الكلمة الطيبة والصدقة المؤذية في قوله تعالى : { فَوَلِّ مَّا عَرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَذَكَّرُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } يعطي ولا يمن بالعطاء . .

وأفهم المنفقين أن المنِّ والأذى يبطل الصدقة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَسْذَى } لما فيه من جرح شعور المسكين . .

وقد حثَّ على إخفائها إمعاناً في الحفاظ على شعوره وإحساسه { إِنَّ تَذَكُّرًا الصَّدَقَاتِ فَنَعِمٌ مَّا هِيَ } أي مع الآداب السابقة { وَإِنْ تَخَفُوا هَا وَتُؤْثِرُوا هَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } أي لكم أنتم في حفظ ثوابها . .

وقد جعل صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه) ، وكما قال تعالى : {

الَّذِينَ

